اسبوع رشدي العامل في المدى الثقافي

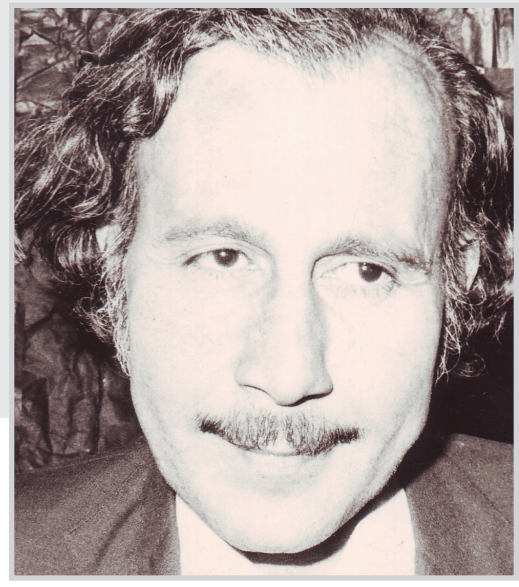

احتراماً لذكرى الشاعر رشدي العامل ومنجزه الثقافي والشعري خصصت ثقافة (المدى) اسبوعاً كاملاً للاحتفاء به وسيكون هذا الاحتفاء لا عن طريق (كتابات تأتي وتذهب) بل عن طريق الشاعر نفسه، رسائله، مذكراته قصائده غير المنشورة وحواراته مع الذات والاخرين، وسيكون للقراء كل يوم حصة مفعمة بالشعر والذكريات من رشدي الشاعر والاب والانسان.

مطولة شعرية

مزامير

وطني،
وقد مات المغني
هل نستعيد حكاية السنواتِ عاريةً،
بلا وترٍ يرافقها
ولا صوتٌ يغني
هل تعبر الايامُ أرصفةَ الشوارعِ
أوجهِ الأطفال، أثقالَ الرجالِ
وكوةٍ في باب سجني
منها ارى أمي وأصحابي
ومنها يدفع السجانُ لي خبزي، كفافَ اليومِ
منها ترحل السنواتُ عني
وتعود مثقلةَ السلالِ
أعود طفلاً، أسرقُ التفاحَ من بستانِ حارتنا
وأمنحه الصبايا
طفلاً بريئاً، الثغُ الراءاتِ، تفتنه الحكايا
والنهر، والناعور، والبلم الفراتي الجميل
تلهو به الامواج عابثةً
وجبهتهُ تميل
جذلى الى ضفةٍ، تلألأ كالمرايا

والأرضُ أغنيةٌ، وعاشقةٌ وبيتُ
والسفحُ مرتكنٌ على الربواتِ
تحضنه الورود
والأرض جذلى، والسماءُ قريبةٌ منا
وضحكتها وعودُ
والأرضُ جاريةٌ ولودُ
❖❖❖
أنأى، وترحل عنيَّ الخطواتُ مسرعةً
وترتعش المرايا
وجهي ووجهك ضائعان
فأنت في أحدى الزوايا
متيبس العينين مهجور
ووجهي في الدروبِ بلا عيونِ
اتوكأ الخمسين،
والايام دائرة
وباب السجن دوني
يا بؤس ما اجترحت يدايا
يا زيف ما سترته اضلاعي
وما خلقت ظنوني
❖❖❖
هلاّ هربتَ اليَّ مني
وتركتَ باب البيت مفتوحاً
وشباكاً يطل على الحديقة
يرنو وتعشى مقلتاي
أعاشق ينسى طريقه؟
أتهجس العتباتِ كالاعمى
وأعثر بالحجاره
أواه لو مدت أناملها،
ولوخفقت ستاره
لصرخت ملءَ صديد جرحي:
أنا ذا وليدك، قد رجعت
فلم عيونك انكرتني
ولم اصطبرت، ألوب من ظمأي
وأفتات الحجاره
ورفعت أسمالي الى عينيك شارهُ
❖❖❖
نحن ارتجفنا،
مثلما أخذت أغانينا أصابعُ عازفِ القيثارِ
شدت، ثم أرخت جرحها الاوتار،
وانهدل النزيف
نهير صبح ملء حنجرة المغني

ياويلَ ما صنعَ المغني
آهاته، والبحة الخرساء سكينٌ تقطعني
فأصرخ كاللديغ: إليكِ عني
ياموطناً، أنا قد نسيت،
فخل جرحي يلئم الاهدابَ
خل الحلم يهجرني وينأى
ودع المرافئَ تحبس الامواجَ عن شفتي وعيني
هزمتني الاحلام،
تقصي ما أرادوه وتدني
تعبت مزاميري،
فبعت اصابعي، وكسرتُ دني
ورجعت ملتحفاً ضبابَ الليلِ، في وطني كأني
في الفجرِ، ما ناغيت غبشته
ولا أبصرت مرأى
❖❖❖
دليني درباً لا يفضي للنهر، فلا يعبرُ جسراً،
درب يلتف على الرمل ويوغل في الصحراء
مهجور تحت الشمس بلا ظل أو ماء
أخطو فيه بريئاً من كل ذنوبِ العشقِ
وأمضي حتى آخر نجم
أقتات النور والتحف الظلماء
دليني أرضاً لا تسجن فيها الاشياء
لا تطرد منها الريح
ويدفن فيها الضوء،
وتحبس حتى الاثداء
لا يتوزع فيها الناس ولاةً وأرقاء
والنسوة يتوزعن عذارى وإماء
دليني وطناً لا يعرف معنى الاسماء
❖❖❖
أذهلت خطايَ الى أين تبعثرني؟
والى أي الصلبان
تسلمني، تغرس مسمارك في بدني؟
قبلت ثراك،
زرعت القلبَ على ضفتيكَ
سفحت دمي في نهريك
غسلت خطاياكَ
ومسحت جروحكَ بالزيتِ
ولكنك تنكرني
❖❖❖
ماذا يفعله العاشق في الدرب
إذا أنسد الشباك على الضوءِ
وأرخى معطفه الليل؟
والى أين تهاجر أغنية يكتمها القيثار؟
وعلى أي وساد يغفو طفل محروم
والى أي رصيفٍ يأوي رجل مهزوم
يا ويلي غطانا الليل
وأدركنا السيل
❖❖❖
يا عبرَ جسرِ الموت تمهلْ
فالدرب طويل، والليلة ظلماء
أعطيك حياتي، لو أعطيت عيوني وطناً
ألمحه لحظة عشق وأموت
أعطيك دمي لو تمنحني قطرة ماء
ذاك الماء
في أعلى النهر
ولو قبل الدفن فتحت التابوتْ
وسحبت على وجهي من سعف النخل غطاء
وهمست بأن الراحل عاد الى المرفأ
والغائب جاء
وبأن القمر الفضيَ وجابطن الحوتْ
مطر ورذاذ

كان الصبحُ نديا أحمل في واديكَ
وكان الليلُ الراحل أرفق بالاطفال
والنهر أرق
وأعذب ما في أنهار الدنيا من ماءْ
وصباياك على الجرف يغازلن الضوءُ
وموال في رجة مجذافْ
كان الصمت طليقاً فوق سفوحكَ،
والصمت حفياً أضلع أهلكَ،
والحب رخياً في صدركَ،
والرب قريباً منك
فأين "الزمن المفقود"؟
مطر ورصاص
ورماد..
ما أبقيتَ لاهلك شيئاً يا وطني؟
❖❖❖
هل أنتَ النارُ
وقلبي حطب يغمره الزيتُ ولا يحترقُ؟
أم انتَ المصلوب، ومسمار الصلبِ،
وانتَ العافية الكبرى والداء
أنت الجرح بصدري،
وأنا النزف الدافئ لا يبرده الماءْ
أنتَ الشوك النابت في الصحراء
أنتَ الوهم
وأنتَ الحلم
وأنتَ الموت ونبض الاشياءْ
❖❖❖
أدعوكَ الى بستاني
لكن عيونك مغمضةٌ خلف القبضانْ
أدعوكَ الى خبزي ونبيذي
واعمد بالدم أقدامك،
لكنك باقٍ في قبضة سجانيك
أدعوكَ الى مائدة الحب
وعرس الاشجارِ
ولكن شفاهك أيبسها الظمأ القاتلُ والملحْ
يا طفلاً زرعوا اقدامكَ بين الجدران
عصبوا عينيك وحيداً بين المبضع والجرحْ
أقرب منكَ
أخض الدمَ في أعراقكَ
لكنك تنأى
❖❖❖
الريح تعاندُ صمتَ البحرِ
وأنت تكابر
واللعبة يخطفها طفلٌ منك ويدحرجها للنهرِ
وراء السد
والقمر الغائبُ أخفاه الحوتُ
فلا تنتظر المد
❖❖❖
جنحت كلُّ الاشرعة البيض الى المرفأ
وانسل النوم الى السفن المهجورة
تيم بحارتها العشق
فهاموا في الارض،
وعادوا للبحر يمدون جسورَ النسيانْ
وتواروا بين الجزر المجهولة والخلجان
والريح تراوغ، والموج
عيون الربان
❖❖❖
أفأنتَ الطالعُ من صدر الغيب
يقاسمني خبز الصبر ويطعمني الوعدْ
أم انت الفعل المحذوف بكل لغات الدنيا
والأسم الغائب عن قاموس الكلمات
واللون الغامض في جسد الرؤيا؟

❖❖❖
انك أنتَ الجسدُ المصلوبْ
والغالب أنتْ
ولكنك مغلوبْ
في زمن المدن المحروثة
والكون المقلوب
أنتَ الخالق والمخلوقُ
وأنتَ الاول والاخر، والكلمه
في سفر التكوين،
وفي رقم الاحياء
أنت المتحرك والساكنْ
والفعل الحاضر والآتي
والنور المتلألأ في الاسماء
والفجر المتألق، والليل الداكنْ
والقادم في الجمر اللاهبِ،
والسائر فوق الماء
والزمن المتواصل في الاشياء
ولكنك لا تدري
❖❖❖
ماذا في ذاكرة العصر
سوى وجهك في الريح
وفي الزمن الآتي
غير الوهم بعينيك
يا كهف الاحلام
أما تعبت عيناكَ من التحديق
وأيبست الصلوات الخمس
وترتيلك أنجيل المنفى شفتيك
❖❖❖
المركبُ يدفع صدرَ الموج
وتدفعه الريح
والبحر فضاء
لا يعرف شكل الابعادْ
والالوان تداخل
والاسماك تقافز في شباك الصيادْ
هذا مأواك
لا تنقل عينيكَ،
ولا تبحث عن ماوىً في الارض سواكْ
❖❖❖
تتنزه وحدكَ، كالشبح العائدْ
تصرخ وحدكَ في صحراء الليلْ
تضرع وحدكَ في بستان الله
وتنتظر السيل
ترقب معجزة،
لا يلقاكَ سوى الماء الراكدْ
رحلت قافلة الاحياء
فخل الاطفال ينامونْ
وارجع من حيث اتيت
وخل الاموات يوارون الموتى
ويموتون❖
❖❖❖
لن تعرفها لو عدتَ اليها
تلك الساحات،
وحانات الليل،
وضحك الاصحاب
فالمدن الصخرية غيرت الارقام على الابوابْ
وبيوت الازياء العصرية
وحدت الاثواب
وانتقلت اشجار الغابات الى ورش الاخشابْ
والشمس توارت في السرداب
والقمر الشاحب
وزعه بالمفرد تجار الاسلابْ

أوشحةً ومناديلا
ودمى وقناديلا
ما ظل سواك دون جوابْ
ما بقيت قافية في الشعر
ولا أغنية في القيثار
ولا قطرة خمر في الاكواب
❖ دع الاموات يدفنون موتاهم "الكتاب المقدس"
هجرت "فيروز" ملاعبة الجرح
عتاباً، ومواويلا
والقيثار يطل من الشباكِ
فلا يسمع ترتيلا
والنجم القطبي الثابتُ
فر من المحراب
❖❖❖
صبح بنافذتي
ونوم في عيونكَ
كيف أوقظ جرحك الغافي
وكيف أسل من أهدابه نزفاً تخثر؟
والجرح جرحي،
والضماد ثياب عرسكَ
أيها الوطن المخدر
اطعمتني ما ظل في كفيك من خبز وملح
ونسجت من سعفاتك الخضراء لي،
كفناً ومئزر
ومنحتني الرؤيا،
فصلى الله فوق رماد جرحي
وبكى، قبل الدمع أهدابي
وباركني وكبر
يا أيها الوطن المخدر
يا سائراً في النوم
ما وخزتك سكينٌ
وما صحاك خنجر
يا أيها النهر المسور
ظمئت بساتين الشفاه
وأذبل العطش الحناجر
وبدت عروق النخل نافرة
مبعثرة الضفائر
❖❖❖
يا أيها "البيت المدور"
غاضت بحور الشعر
والكلمات غاضبة
وفي رئة القوافي
سل يمزقها
ودمع في مآقيها تحجر
لا نجم يؤنسها
ولا لون الصباح الغض أشقر
فتأوهت في البرد
لائذة على رمل الضفاف
وتنفست والغيض يخنق صوتها،
الله أكبر
❖❖❖
هل تسمعين الريح؟
هل تبصرين الطائر الذبيح؟
عيونه مغمضة
جناحه كسيح
أتعبه التبريح
ناداه سرب عابر وغادرته الريح
دعيه في غفوته البيضاء، يستريح

بغداد ١٩٨٨

صفحة من مذكرات عنه

نبض التيار الازلي

هذه صفحة بلا تاريخ عن رحلة الى (عنه) حيث طفولة رشدي انه هنا مع طفليه في جزيرة على اعالي الفرات.. يتأمل ويستذكر مكتبته السرية ويحاور ما حوله ويعود الى محطات من حياته المتعددة المحطات بلغته التي نعرفها نثراً وشعراً

امامي على الضفة ارتفعت، قطرة قطرة، حبات الرمل.
بيوت مسورة مجرات رملية طرقات ذات ارصفة قباب. حتى النوافذ الفارغة تؤطرها حبيبات الرمل التي تستكين ما ان تنضج ماءها لتمتصه ارض الشاطئ المهجور.
غريب عالم ما قبل الظهيرة هذا عالم من العزلة التي لا تكتشف ابداً عالم مليء بنفسه نموذج الى اقصى حدود الكمال نهائي وحيد بائس مترف حالم مأخوذ وربما ميت ايضاً شجرة الصفصاف صامتة هي الاخرى شجيرات التين، متدلية عبر سور الجزيرة على مفترق شطري الفرات بين جزيرتين صغيرتين نبض التيار الازلي مندفعاً بين السد والجزيرة صوت ناعور يئن، متعباً، حزيناً، من بعيد.
انبطح على الرمل اغرف من الرمل المندى اترك اناملي تسقط الرمل حبةً، حبة.
اوزع الرمل على بيوت لا اعرفها بيوت الرمل تلك اسمع اصواتاً لا اسمع شيئاً.
عذابي تركته كل حزني هناك قصائدي وأمي كتبي وحانات الليل اين المرأة التي تنتظر؟ بغتة..
عبر المياه، مياه الفرات التي تمتد بين جزيرتين ناداني:
-بابا.. با.. با.. بابا.. با... با..
خبطت الرمل فاستقر مع الرمل
جاءني سابحاً عابراً بين جزيرتين ضاحكاً بدا مبللاً بماء الفرات صبياً
آخذاً بعروق الصفصاف
-محمد؟
-هناك
زحف إلي:
-بابا.. تكتب؟ على الرمل تكتب؟
- لا...
- بابا.. ما تفعل؟
- أرسم.
- ارسم..
ضحك لي اسنانه كانت بيضاء ضحك
- بابا.. ترسم؟
- ها.. ارسم. انظر علي مدينة خربناها
- بابا.. با..
- هيا
جدفنا في الزورق وصلنا في البيت القديم تناولنا الطعام على الارض نمنا تسللنا في المساء علي ومحمد وانا الى الجزيرة..
جزيرتنا في الفرات كانت الشمس ما تزال تقاوم في الافق.
الضوء الذي يذبل والوهاد العالية وراء النهر المتعرج شعاع الشمس يرحل يقولون ان الفجر يلاحقون غروب الشمس في هجرتهم صوب الغرب منذ متى كنت هنا آخر مرة متى هاجرت؟
كم من السنوات انطوت بين خطى الصبا وزحف الكهولة؟
امس جربت ان ارتقي تلة عالية من تلك الوهاد الجرداء التي كنا ندعوها جبالاً.
ولداي ركضا ارتقيا بسهولة على جانب من المقبرة التي تضم عظام الاجداد منحدرة من القبة الجصية التي شقق المطر جدرانها والبرد والثلج حاولت اللحاق بهما فلم استطع ركبتاي لا تقويان على ارتقاء تعاريج الصخور البيضاء ناديته جاءني راكضاً.
- علي.. انظر هناك
تطلع الى فتحة مغارة بين كهفين كبيرين
- هل تراها.. تلك المغارة؟
- ماذا؟
- هذه مكتبتنا حدثتك عنها مرة تذكر ماثلة امامي ما ازال اهجس حفيف الورق واشم رائحته ماثلة كما كانت منذ اكثر من عشرين عاماً تلك المغارة الرطبة الداكنة مختفية بين صخرتين كبيرتين تنمو على مدخلها الطحالب الخضراء وتتفتح شقائق النعمان من كل لون وفي داخلها يستريح صندوق خشبي قديم سرقناه من البيت لنودع فيه كتبنا الصغيرة ومجلاتنا ومنشوراتنا المنسوخة باليد ذاك كان كنزنا سرنا الفتي الغض هويتنا التي دلفنا بها الى العالم الكبير ايام كان القلب في الجهة اليسرى يا موليير.
بين الجبل والجزيرة تجري مياه الفرات اشجار النخيل الكثيفة والتين والزيتون وفي طور سنين زرعنا سرنا، قبل ان نغادر ذلك البلد الامين وعلى الضفة الرملية استلقيت ممدداً قدمي في الماء الذي اطعمته شمس الظهيرة دفئاً لذيذاً متماوجاً ومنحه الشفق الواناً مذهلة تشبه النعاس في عيون طفل سود تشبه الخدر في وجه امرأة بعيدة تنهض من رقادها اللحظة.
حسناً
قلت أي ألق للماضي اذا لم ينهض الان من رقدته الطويلة على الرمل حذاء اشجار الصفصاف، وامام الناعور المهجور وكركرة المياه المتدفقة عبر السد الحجري الممتد بين ضفة النهر وضفاف الجزيرة الساكنة هنا في هذه الزاوية من الارض عرفت لاول مرة طعم ان يحب الفتيان وامامي، في تلك الدار المهجورة امام البوابة الخشبية كنت ارتجف في ليالي الشتاء المقرورة انتظر سكينة النوم تملأ عيون الراقدين تحت اغطيتهم الثقيلة لا تلقى عطاء يوم من الانتظار بين زنديها ورقة ضفائرها الصبية، وارتعاش الشفتين.
هناك كان الوهم هو الحقيقة الوحيدة التي عرفتها بين محاولة الاكتشاف المحموم للعالم الغامض البعيد وبين الحياة اليومية التي لا طعم لها لولد شقي يريد ان يختصر المسافات.
كنت اترقب احس ان شيئاً ما سيأتي ينبثق فجأة امامي من النهر؟ الجبل؟ الطرقات المتربة بين اشجار البساتين الداكنة من الجدران الطينية في ظلمات ليالي الشتاء المدلهمة؟ من المقابر في ليالي الصيف المقمرة؟
كيف سيأتي ذلك الشيء الذي لا اعرف له اسماً؟
سألتها ذات ليلة رائحة ثوبها المبلول وطعم النعاس في عيونها ونحن نلص قبلاتنا المذعورة منتصف الليل قالت لي:
- انت خائف
ضممتها برقة بعنف
- تخاف؟
- نعم.. نعم
- تخاف؟
-نعم
حكيت لها شيئاً
-لقد شنقوا واحداً
في تلك الليلة من شباط جاءت الاخبار كان الرجال يسمرون في الديوان يتلذذون بمرارة القهوة السوداء ويلفون سجائر التبغ الرخيص قالوا "شنقوا واحداً" قالوا "بل ثلاثة" من هم؟ لقد انبثقوا من السراب من العدم من مكان سري لا يعرفه احد وضعوهم في السجن اولاً في سجن بعيد في سرداب عميق ثم جاءوا بهم دفعوهم على الدرجات الخشبية ثم تركوا اجسادهم تهوي لقد ماتوا
في تلك الليلة رأيت السلالم الخشبية والحبال المعقودة على الرقاب ولم استطع تمثل الوجوه قالوا انهم يلفون رؤوسهم

بالاقنعة السوداء لم استطع النوم وداعاً ايتها الاشعار الجميلة في مجلات الاديب والرسالة والثقافية.. وداعاً ايها الصحو الجميل ايتها العذوبة الكاذبة.
وعندما جاء صاحبي صديق طفولتي السعيدة المفعمة والطافحة بالامل اخبرني.
لقد شنقوا ثلاثة رجال في بغداد
حدثني في عيونه غضب مر
انتم هنا لا تعرفون شيئاً
تذكرت المظاهرات التي شاركت فيها صبياً كانت الوثبة قالوا انها ضد الاستعمار ضد المعاهدة ذهبت الى بغداد والقيت قصيدة ساذجة في مقبرة ما حيث دفنوا بعض الشهداء وبعدها: فلسطين والجيش الزاحف عبر الجسر الحديدي في مدينة الفلوجة القصائد والاهازيج الحارة المتدافعة وجوه الجنود وصدور الرجال وزغردة النسوة والوعود الكثيرة احسست ان فلسطين قريبة ليست ابعد من الجسر كثيراً وما ان يصل الجيش الى هناك حتى ينتهي كل شيء وحينئذ سنملأ الساحة الواسعة المترامية بالسرادقات ونوزع المرطبات والزهور ونحتضن اذرع الجنود العائدين الذين صنعوا النصر.
اما الآن قال لي:
فـ"انتم لا تعرفون شيئاً"
لقد انتهى سراب الفرح اختفت الآمال واختنق النصر
من هم
وهمس حسين صديقي العائد الى عنه في عطلته السنوية:
-انهم..
-ماذا؟
-قلت لك انهم شيوعيون قادة الحزب الشيوعي
- ولماذا شنقوهم اذن؟
- انت لا تعرف شيئاً رشدي
اطرقت بحزن ربت على كتفي قريبي العائد من بغداد
- انت تقرأ كثيراً اعرف انت وطني اعرف وطني جداً ولكن..
في تلك الايام بدأت الرحلة
قريباً كنت من القافلة من الهمس الخافت بعيداً كنت منها وحيداً كنت صديق نفسي التواقة التي لا تعرف الى اين اغرق بين الكتب والمجلات التي توفرها المكتبة العامة المتواضعة في تلك المدينة الممتدة اعالي الفرات ارتقي صخور المرتفعات التي ندعوها جبالاً واجذف في النهر واعبر الى الجزر الرملية الساحرة واقرزم الشعر، واغرق كل ليلة بعيون فتاتي السمراء التي تنتظر رقاد اهلها، لنلص في منتصف الليالي قبلاتنا الملتهبة الشبقة.
لقد وجدت نفسي فجأة هكذا خيل الي التقيت بذلك اللهب الراقد في اعماقي.